

الصحة في طنجة

بقلم عبد الكبير الفاسي

توجد صحافة في طنجة. هذه حقيقة لا غبار عليها، غير أنها صحافة أجنبية بلغات أجنبية. وأما صحافة مغربية عربية اللسان فإنها معدومة أو شبيهة بالمعدومة، لأن الجريدة الوحيدة التي تصدر هناك باللسان العربي لا تفتأ تصدر بعد توقف إلا لتحجب بعد توقف آخر لأنها تتهم بمس جانب من جوانب السياسة الاستعمارية، وهي مقدسة كل التقديس خصوصا في هذه الأزمنة العصيبة.

هذا مع أن الصحافة حرة في تلك البقعة السعيدة، وإن كان تأسيس حان أو ماخور أيسر على من أراده من تأسيس جريدة. وأكبر المؤهلات لتأسيس صحيفة هناك، هو العمل على خدمة مصالح دولة من الدول إما السياسية أو المالية أو جميعها. وإذا أراد المغربي تأسيس صحيفة هناك طوب بأنواع من الضمانات والإجراءات لا يطلب بها الأوربي، لأن الأوربي يطالب بإجراءات يعرضها القانون الدولي على سائر الناس، بينما يطالب المغربي بإجراءات النظام الدولي وإجراءات المندوبية التي هو تابع لها جنسية وقانونا. ومعنى ذلك أن المندوبية لا تبيع ذلك سدا للذرائع واتقاء لما عسى أن يصدر من تلك الصحيفة العربية اللسان من انتقادات هي مصممة كل التصميم ألا تصل إلى آذانها لأنها تفسد عليها سياستها الكبرى، ومنها إبقاء ما كان على ما كان وليس في الإمكان أبدع مما كان. وينبغي للناس أن يسمعوا ويطيعوا لأن أدنى تحول عن السياسة المقررة الماثورة تفضي بالناس إلى ما لا تحمد عقباه، وكل ذلك لحاجات في نفس يعقوب، منها ما قضاها ومنها ما زال لم يقضها.

ذلك ما يهيم الصحافة العربية المعدومة، والحديث عن المعدوم معدوم فلا حاجة للإطالة عنه خصوصا والموضوع شائك شأن جميع ما يتعلق بطنجة، وهي كالجنة المحفوفة بالمكاره.

وأما الصحافة الأجنبية اللسان والمشارب فعددها لا يبلغ العشرة، بل عددها ست من الجرائد.

وأكثرها انتشار صحيفة «سباني» وهي إسبانية اللسان يومية الصدور، هي استعمارية النزعة متقنة الطبع والهندام ويقال عنها إنها أفضل الصحف الإسبانية من الوجهة الصحافية الفنية، وقلمها تخلو الصحيفة من مباريات الثيران وإذا خلت من ذلك فلا تكون صحيفة إسبانية محترمة في نظر قرائها الكثيرين. وسبب انتشارها هو العدد

الوافر من القراء لانتشار اللغة الإسبانية انتشارا باهضا في طنجة سواء بين الإسبان وبين الجاليات الأخرى وعلى رأسهم المغاربة. فهي الجريدة الوحيدة التي يمكن أن يقال عنها بحق جريدة طنجة.

ثم تليها، من حيث أنها جريدة يومية، جريدة «لاديبيش ماروكين» وهي فرنسية اللسان، استعمارية النزعة قلما يقرأ فيها القاريء المغربي ما يسره، حتى سماها المغاربة «لاباطاي نيمرو2» ولها صبغة رسمية أو شبيهة بالرسمية لا تخفى على أحد مهما حاول محررها إخفاء مصادر حملاته القلمية التي هي غاية في البلاغة والبيان أي في التلمويه والسفسطة.

وقد لاحظ قراء «لاديبيش» أخيرا أن خبر عدول أمريكا عن فكرة تقسيم فلسطين لم ينشر في يومه ونشر مؤخرا تأخيرا فاحشا، على أن صاحب لاديبيش أي مالكها، لا نعلم عنه أن له عطفًا ما على الصهيونية.

وقد أسس هذه الجريدة روبري دينو سنة 1904 للدفاع عن مصالح فرنسا، وروبير دينو هذا هو مؤلف كتاب عن المغرب عنوانه «على هامش الكتاب الأصفر»، طبع سنة 1923، وقد توفي أخيرا.

وأما الصحف الأخرى فهي أسبوعية، وأكثرها انتشارا «جريدة طنجة» وهي فرنسية اللسان، معتدلة اللهجة، حسنة الهندام، وأحسن ما في أسلوبها أنها تجهل المغاربة بتاتا ولا تعيرهم التفاتا، وقد أراحت واستراحت بهذا الموقف السلمي. فهي تناضل في مقالات متينة عن مصالح أهل طنجة المالية والسياسية وغيرها، ولها صفحة كبرى لإعلانات الشركات المالية والتجارية التي تؤسس في طنجة والله يعلم أنها لكثرة مال الأوربيين المتعاونين مع جيرمانيا والفارين الآن من الشيوعية.

وقد امتازت منذ سنة 1946 بحملاتها المتعلقة بإصلاح نظام طنجة الدولي حتى تكون للإدارة الدولية فيه سلطة أكبر مما لها الآن في شؤون طنجة الحيوية.

وعلى رأس الجريدة الآن شيخ وقور، وهو المحامي الكبير سوران. وهناك صحيفة أسبوعية إنجليزية اللسان وهي «طانجي كازيت»، قلما تهتم بالشؤون السياسية، وكثير من مقالاتها يدور حول مواضيع تاريخية واجتماعية لأن قراءها الانجليز بطنجة وجبل طارق لا يهتمون بالشؤون السياسية، اهتمامهم بلعب الكولف والكريلي والبريدج وشرب كثير من الشاي مع أكل كثير مما لذ وطاب من الحلويات. وجل أفراد الجالية الانجليزية كبار السن عرفوا الحياة معرفة، لم يبق لهم معها

وقت للعدول عما عرفوه من أساليب العيش، فهم يفضلون الاستقرار على التحول ولا يحبذون الاطلاع على ما من شأنه أن يكدر صفو الحياة، مثل مطالعة المقالات السياسية، وقلما تبشر بخير، خصوصا في هذه الأيام، وقد خلفت هذه الجريدة، (طنجى كازيت)، جريدة كانت قبلها اسمها «تايمس أوف موروكو» التي كان على رأسها صحافي إنجليزي كبير اسمه «بدجيت ماكين» كتب عن المغرب، أكبر تاريخ بالإنجليزية معروف سماه «امبراطورية المغرب» المطبوع بلندن سنة 1889، كما كتب غيره من الكتب عن المغرب والمغاربة، سنأتي على ذكره وذكرها في الوقت المناسب.

ومن أسبوعيات طنجة «ليبرطاد طنجة» التي خلفت «ليبرطاد» الاسبانية، وتصدر الآن في عدة صفحات من القطع الكبير في عدة لغات ما بين فرنسية وإسبانية وإنجليزية، وعلى رأسها رجل سويسري الجنسية يدعى الدكتور أ. كزانري، وهو غريب الشكل والأطوار، وكثيرا ما يتكلم عن الحرية والحريات لأنه يحبها وتحبه وهي عزيزة على كثير من صحافي طنجة وغيرهم من الجاليات الأوروبية. وآخر صحيفة أسبوعية ازديادا، صحيفة «كوسموبليس» سيأتي الكلام عنها في فرصة أخرى.

وليست الصحافة بطنجة الآن بالشيء الذي يذكر بالنسبة إلى ما كانت عليه في أواخر القرن الفارط وأوائل القرن العشرين أي قبل سنة 1912. فقد كانت التي تصدر يوميا أو أسبوعيا أو مرتين في الأسبوع تربو على العشرة ما بين اسبانية يومية وأسبوعية وفرنسية وانجليزية. وكانت توجد إنداك صحف عربية اللسان لمختلف الدول والشخصيات (كالحق) و(الترقى) و(الصباح) و(السعادة) و(لسان المغرب). وكان يهود طنجة شأن أي شأن في إحداث الصحافة باللغات الأجنبية وخصوصا الاسبانية، وفي تكوينها وتوجيهها فكانوا من السابقين الأولين في ذلك. ولقد اندثرت تلك الصحف على كثرتها لموت أصحابها ولكونها كانت تؤسس في غالب الأحوال لأهداف وغايات كلها ضربة بسيف أوطعنة برمح في جسم المغرب المسكين العليل. لم تكن الصحافة إنداك إلا وسائل - قلما بلغت غاياتها وأهدافها اندثرت أو لم يبق لها إلا أثر هو في بعض صحف اليوم مثل «لاديبيش ماروكين».

عبد الكبير الفاسي

العلم 1948/4/14، ص 2